

جذور إرماصات الطب النفسي الإيقاعية التطوري (من الإبداع الخاص) الفصل العاشر " الحلقة " والخاتمة: رواية " الواقعة "

نشرة " الإنسان، 2018/06/23
المسنة الحادية عشرة - العدد: 3948



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

نبدأ من اليوم نشر فصول رواية "مدرسة العراة" تباعا في هذه الأيام الثلاث (السبت/الأحد/الاثنين من كل أسبوع) كما أشرنا الأسبوع الماضي.

وهذا هو الفصل الأول

بصراحة حين قرأته لمراجعة أية أخطاء مطبعية، لم أستطع أن أصدق أنني أنا كاتب هذا النص منذ أربعين عاما، فأملت أن يقرأه معي أحدكم مثلما قرأته، كما أملت أن تكون بقية الفصول في مستواه.

أنا آسف

الحمد لله

(رواية "مدرسة العراة")

الجزء الثاني: من ثلاثية "المشى على الصراط"

الفصل الأول

"فردوس الطباوى"

مالى أنا؟ يكفينى ما بى، عيالى أولى بى، همى بيتى، مطبخى، ستائر حجرتى، ألا يكفيه أنى أهتم به، حتى بإصلاح جواربه، ماذا يريد منى بعد ذلك؟

صبرت حتى على العجز نفسه، وعلى فضيحة انتحاره، لكنه لايتركنى فى حالى، يريد منى أن أذهب معه إلى العلاج؟ أى مصيبة وصلنا إليها، أى علاج هذا المجنون، ماذا فى فارغ فى فارغ أنا عرفت حركاته، يريد أن يلصقها بى فى النهاية، لن أذهب ولو انطبقت السماء على الأرض.

تنازلت له عن كل شئ، نسيت نفسى إرضاء لأنانيتته: الليسانس، وأحتفظ بورقته مع خزين البصل، أهلى، وانقطعت علاقتى بهم، أصدقائى، وانصرفوا عنا هربا من قلة ذوقه، حتى قراءة الفنجان التى كنت أعرف من خلالها نفوس الناس أحسن مما أسمعته عن طبيبه المخلول، نسيتها وما كان قد كان، ثم ها هو ذا لا يدعى فى حالى، أريد أن أعيش مثل الناس، ما لها الست محاسن جارتنا، وابنة خالتى صباح، وتماضر الجحش زوجة سعد عرفة، بل ما لها أم عنتر زوجة عم عبده البواب؟

صبرت حتى على العجز نفسه، وعلى فضيحة انتحاره، لكنه لايتركنى فى حالى، يريد منى أن أذهب معه إلى العلاج؟ أى مصيبة وصلنا إليها، أى علاج هذا المجنون، ماذا فى للعلاج؟

عشت معه طول هذا العمر وتحملت ما تحملت على أمل أن يكف عن الجرى فيما لا طائل وراءه،
كاد أملى يتحقق بمرور الأيام حين أصبح مطيعا سلسا بعد سنوات، ثم حدثت المصيبة التي لا أدري
من أين جاءتنا، مصيبتى كبيرة فى هذا الرجل، لا يعتقد أنى أملك جهازا للتفكير مثله، يحسبنى دائما
أعيش فى غيبوبة، أقرأ فى عينيه نظرات الاحتقار وأصبر، أنا أعرف الحياة أكثر من، وما صبرت
عليه كل هذا الصبر إلا لأنى أفهمه أكثر مما يفهمنى، كان أملى أن يكملها الله بالستر، ولكن..

= مالى أنا بكل هذا يا عبد السلام، الله يهديك.

- هذا هو رأي، وهذه مهنته، وهو يعرف الصالح أكثر منى ومنك.

= وأنت؟ أليس لك رأى؟ وأنا؟ أنا مالى يا عبد السلام الله يخليك، البيوت أسرار دعنا نعيش فى

ستر، دعنى فى حالى.

- أنا لم أذهب مختارا كما تعلمين، اضطررت إلى هذا الطريق عقب نجاتي من الحادث، ليس أمر
من المر إلا العجز والضياع.

= تقول "الحادث" أنت الذى عملتها فى نفسك، خيل إليك أن العالم انتهى وأن مصر خربت، صدقت

الإشاعة واعتبرت الثغرة بداية الهزيمة التى لا نَصْر بعدها، عملتها ولولا ستر الله وأولاد الحلال ما
كنت بيننا الآن، أنت تهرب يا عبد السلام من الحياة عمال على بطل.

- عمر الشقى باق.

= وهذه مصر بخير.

- ليس تماما... يمكن أن تكون بخير، إذا فعلناه نحن، إذ كنا نحن بخير.

= نحن بخير يا عبدالسلام، وكفى جريا وراء الأوهام.

- لست بخير يا فردوس.

= وما الذى يمنعك أن تكون بخير؟

- ، ، ، ، ، .

= قل لى ما الذى يمنعك؟

- أنت.

= أنا؟ هذا ما عملت حسابه طول عمرى، سوف تلف وتدور ثم تأتى باللوم على رأسى.

- لا أقصد أنت أنت، ولكن أى أنت.

= يا نهار أسود، تريدنى أن أذهب معك هناك حتى يلتوى لسانى هكذا... لاقوة إلا بالله.

- يا امرأة، إفهمى ليس أمامى خيار.

= سلب هذا الرجل إرادتك يا حبة عيني، أين أنت يا عبد السلام؟

- يا ولية، إفهمينى... ليس لى خيار، المصيبة داخلى وأريد أن أحافظ على بيتى، لم أعد أستطيع

الكذب، هذه هى الحكاية.

= أى كذب وأى هباب، أنت لاتحافظ على شئ إلا على جنونك، أنا التى دفعت عمرى لأحافظ على

بيتنا، وأنت لست هنا من أصله.

- ما أعجزنى إلا العجز.

= العجز؟ قل شاء الله يا أم العواجز.

- أنت لا تدرकिन الخطورة، هذا البيت مهدد بالانهيار.

= تهددنى بعد أن صبرت كل هذه السنين، تأكلنى لحمة وترمينى عظمة.

- أنا مريض وأعالج، والطبيب طلب حضورك.

عشت معه طول هذا العمر
وتحملت ما تحملت على أمل
أن يكف عن الجرى فيما
لا طائل وراءه، كاد أملى
يتحقق بمرور الأيام حين
أصبح مطيعا سلسا بعد
سنوات، ثم حدثت المصيبة
التي لا أدري من أين
جاءتنا

مصيبتى كبيرة فى هذا
الرجل، لا يعتقد أنى أملك
جهازا للتفكير مثله،
يحسبنى دائما أعيش فى
غيبوبة، أقرأ فى عينيه
نظرات الاحتقار وأصبر

أنا أعرّف الحياة أكثر من
منه، وما صبرته عليه كل
هذا الصبر إلا لأني أفهمه
أكثر مما يفهمني، كان
أهمل أن يكملها الله بالستر،
ولكن....

أحدثت النظر إلى زوجي
عبد السلام وكأنني أراه
لأول مرة، بدا لي غريباً
معنى، لا، بل هو عبد السلام
الذي تزوجته أيام الأمل
والغباء، قلبي يصدق
للذكرى أو لعله يصدق خوفاً
من التذكر، أخافه أن
يعاودني الأمل.

= لا تضع الفأس في الرأس.

- جربى من أجل الأولاد.

= ما لك أنت بالأولاد، أنت لاتعرف عنهم شيئاً، أحيانا أتصور أنك لا تعرف حتى أسماءهم، كفى

تهديدا، لى رب اسمه الكريم وعندى شهادة، ولا أحد يموت من الجوع.

- وحبنا؟

= تتكلم عن الحب يا عبد السلام؟

- أبحث عن أى لغة تفهمينها، ولو كانت بلا معنى.

=... تضحك على... ولا تلبث أن تستهين بعقلي كالعادة، لا تنكر أنك لم تعد تطبق رؤية اثنين

يحبان بعضهما البعض، ولو فى التليفزيون.

- لا أطيع الكذب.

= ما تسميه صدقا هو الجنون ذاته.

- إسمعى، إما أن تحضرى أو أكف عن العلاج، أو،

= تهددنى يا عبد السلام؟

-أنا مضطر لإكماله يا فردوس.

=.... يا ليتنى أفهم شيئاً.

-1-

آخر زمن..

علاج هذا أم قهوة للمساطيل، مالى أنا وكل هذا، هذا الرجل ليس طبيبا ورحمة أمى، هارب من
مستشفى المجاذيب بلا أدنى شك، هو أكثرهم جنونا، خيبته تفوق غباءهم المستسلم، لم يوجه لى أية
كلمة، لعله حسبنى لا أملك ذلك الجهاز فى الدماغ الذى يفكرون به، أنا أستطيع أن أزنهم جميعا بنظرة
واحدة، نظراته تخترق مالا يعرف، لن ينال منى شيئاً لأنى أذكى منه ومنهم.

ما هذه الأشكال كالتحف التى لا تصلح إلا للمتحف؟ تلك المرأة التى اسمها إصلاح طبية مساعدة
أم وسيط منوم مغناطيسى؟ تكاد تأكله بنظراتها، يجمع حوله الضحايا ويفعل بهم ما يريد.

قلبي يتقطع على تلك الوردة التى لم تتفتح "بسمة" ما الذى أتى بها إلى هذه المجموعة؟ ليس بها إلا
ما يمر على البنات فى سنهها، أنا نفسى طالما قلت ما تقول حين كنت فى سنة أولى جامعة، ارفعوا
أيديكم عنها يا حكماء آخر زمن، دعوها لتختار وحدها وتبحث وسوف تنسى كل شئ، كلنا ننسى كل
شئ، مستقبلها فى شبابها وأولادها وبيتها، ما الذى أتى بك إلى هنا يا ابنتى؟

لم أستغرب أن وجدتك هناك يا "غريب"، هذا مكانك الطبيعى، بدأ الفأر يلعب فى عبي منذ
لاحظت زيارات زوجى المتكررة لك، طول عمرى أقول عليك أعزب جبان، لا بد أنك تريد خراب
بيتى لينضم إليكم زوجى متفرجا مثلك، لا بد أنك وراء كل هذا ومقام السيدة.

فهمت من "ملكة" وهى تكلم جارها غالى أنهما زوجان، الحمد لله أنى وجدت مصيبة مثل
مصيبتى، ملكة غيرى، ثابتة لا تتحرك ولا تهتز، زوجها المتحمس المتكلم يعمل الواجب وزيادة، لا
يبدو عليها راحة مرض أو مشاكل، نادى هذا أم عيادة؟ ملكة تكاد تحيط زوجها بسلاسل نظراتها وهو

منتش في حذر، كلما نظرتُ إليه في ولّة صَفَا ذهنه وعلا صوته أكثر، وراءهم حتى أعرف السر، لا يخلو محبّي من متعة نسائية.

فلتستيقظ هواية حب الاستطلاع، والعاقبة عندك يا عبدالسلام.

وهذا الإنسان الحالم، مختار لطفى، إذا لم أكن قد نسيت اسمه، أعتقد أنه ابن ذوات لا يجد ما يفعله ولا ما ينفق فيه نقوده، لعله جاء يتسلى حسب "الموضة" ويتفرج على هذا المسرح الحى، ولابأس من أن يجد فرصة كذا أو كذا، من يعرف؟، طول الوقت ينظر إلى نجوى التى حسبته مانيكان من طريقة حركاتها وعنايتها بجسمها ولبسها، كل ذلك لم ينجح أن يخفى عنى حزنها، لعلها فقدت عزيزا وتعالج هنا بتعقيد نفسها بالمرّة لزوم العصر الحديث، تتسلى بالكلام الفارغ عن الحزن الواجب.

وهذا الذى اسمه "كمال" يتجول على رصيف المجموعة طول الوقت، يتسكع ولا يشارك أبدا.

أما "عبد السميع" فهو يغط في غيبوبة لاتمت إلى عالمنا هذا، شحوب وجهه يكاد يعلن أنه لم ير النوم من زمن سحيق.

"إبراهيم" هو الإنسان الوحيد الذى ارتحت له بين الجميع، ملامح عظيمة وصوت ريفى فخم، وقلب طيب فعلا، قلبه فى عينيه، وروحه فى يديه، ووجهه ينطق بكل أسراره دون كلام.

أعدت النظر إلى زوجى عبدالسلام وكأنى أراه لأول مرة، بدا لى غريبا عنى، لا، بل هو عبدالسلام الذى تزوجته أيام الآمال والغباء، قلبى يدق للذكرى أو لعله يدق خوفا من التذكر، أخاف أن يعاودنى الأمل.

بسمّة تذكرنى بأيام زمان، وعبدالسلام يبدو مثلما كان، وأشياء تكاد تستيقظ فى، تبدأ بحب الاستطلاع، والبقية ترعبنى.

كل ذلك كذب فى كذب، سوف لا أعود ثانية ولو ذبحونى، نبش القبور هو ألين جريمة فى الوجود، وخاصة إذا كان فى القبر أمل فى حياة ما- الصداق يكاد يقتلنى.

- فاطمة، بنت يا فاطمة، كوب شاي وأسبرينتين.

قال عبدالسلام مقاطعا:

- هه؟ ما رأيك؟ لم تتحطم الدنيا.

= عندى صداق.

- الحمد لله.

= ماذا تقول يا عبدالسلام؟ أقول لك عندى صداق تقول الحمد لله، عندى صداق ويبدو أن أنفى سيرشح.

- ربما تحرك المارد.

= إسمع: لقد طاوعتك على قدر عقلك من أجل خاطر الأولاد- أما أن تنقل هذا الكلام الفارغ ليكون أسلوب حديثا فى البيت فلا، وألف لا، دعنا نعيش.

- سوف يحدث،

= لايد أن تعقل عاجلا أو آجلا، الناس كلها تعرف كيف تعيش بلا علاج ولا يحزنون.

كلمات الحب أصبحت مثل

فقاقيع الصابون فى ماء

المسح الخذر، مسح العقول،

مسح المنطق، مسح الشخصية

ليس لنا يا بسمّة سوى ذلك

المخزن الدافئ الذى

يفقس فيه البيض ليصنع

فيه العيال، نعدهم للجنة

التى لم نحققها، الحكاية

أبسط من كل ما يدعون،

يريدون أن يوقفوا الزمن

ليحققوا بأنفسهم الجنة التى

لا يعرفونها

-.... يعنى.

= إسمع، دعنى أنام.

- تصبحين على خير.

.....=

أى خير أصبح عليه؟ لن يكون هناك خير مادام هذا الباب مفتوحا، فى عينيه لمحة انتصار لم أرها من زمن، سوف يغط فى النوم عما قليل يكاد الصداع يفجر رأسى.

= فاطمة، الترمومتر يا فاطمة.

- ماذا بك يا فرودس؟

= أكاد أغلى... لا بد أن بى حمى.

- لا أحسب ذلك، جبهتك باردة كالتلج.

= دعنى لحالى.... أنت عمرك ما اهتمت بصحتى، ولا بى.

- ما تطليبيه ليس اهتماما.

= أنا لا أفهم ما تقول، أريدك أن تشعر بى، تسأل عنى، تهتم بما أنا فيه مثل كل الناس.

- أنا طول عمرى أهتم، ولكن بطريقتى.

= الله يخرّب بيت طريقتك، هى التى جاءت لنا بكل هذه المصائب.

....-

= جسمى يرتجف من الصداع والحمى.

- ننتظر قراءة الترمومتر.

= تتحدانى؟ تكذبى؟ لن أقيس الحرارة وهذا هو الترمومتر، .. هيه، إسمع: سوف أهرب منك

ومما تفعلون مثل حبات الزئبق هذه، فلا تأمل فى شىء، أنا أدري بنفسى،

- فردوس، هل فكرت فى أصل الحكاية؟

= لا أصل ولا فصل، والله العظيم أترك لك الحجر، أو أترك لك البيت إن شئت.

- أنت حرة.

= لا يا شيخ!!، ماذا تقول؟ منذ متى وأنا حرة؟

- أنت طول عمرك حرة.

= كذاب، كذاب.

- رجعنا إلى أيام زمان.

= بعيد عن شنبك أن يتكرر شىء من زمان، لن تخدعنى بكلمات الحب والعالم الذى ينتظرنا لنصنعه

معا! سوف أذهب معك لتشفى أنت، لا لأمرض أنا، أولادى أولى بى، وأنت لن تتفهم فى شىء.

- 2 -

بسمه يا حبة عينى، لا تغيب صورتك عن بالى يا ابنتى، كم أحبك، كم أشفق عليك، مالذى جاء بك

إلى هنا؟ سوف أحضر من أجل خاطرك، هؤلاء الوحوش لا يعرفون شيئا عنك ولن يقدر أحد منهم ما

بك، أنا أدري بك، أنت شبابى يا ابنتى، سوف أساعدك أن تكففى عن هذا العبث كله، سوف أقاوم

كل أمل لم أحققه، هذا كله طقطقة كلام يا ابنتى، فض مجالس، قد يفيد أحيانا فى الإغراء بالزواج، أما

أن يسكب هكذا فى عيادات الأطباء، فلا، ايش عرفهم بالحب، والجنة، والناس الذين مثل كل الناس؟

أنت تعرفين كل ذلك أكثر بدونهم، كم حلمت أنا به، هو كلام حلو، ولكنه أبدا لن يكون إلا كلاما حلوا،

كلام مع وقف التنفيذ، نتزوج لنحققه ولا نكتشف أنه مجرد كلام إلا حين نتورط فى الأولاد، وعندئذ

ألا تعرفين أن الماء الذى
لا يكفى لإطفاء النار
يزيدها اشتعالا؟

خالى مؤمن بالعلم فى كل
مكان وفى أى مكان،
يقول إنه يجد الديالكيتيك
الحقيقى فى هذا الصراع
العميق. هنا بين العجز
والإراقة، بين الحياة
والموت، نحن نحرر أنفسنا
لنتحرر الجماهير

نترك لهم مسؤولية تحقيقه، إنهم هنا يحرقون اللعبة يا بسمة يا ابنتي، يوهمونا أنه إما أن نحققه الآن، أو نأكل بعضنا البعض، يا ساتر يارب، لماذا لا يتركوك تحلمين، من جاء بك إلى هنا يا حبة عيني؟ بسمة يا حبة عيني... لا تأتي بعد اليوم أتوسل إليك، كلمات الحب أصبحت مثل فقاقيع الصابون في ماء المسح القذر، مسح العقول، مسح المنطق، مسح الشخصية، ليس لنا يا بسمة سوى ذلك المخزن الدافئ الذي يفسد فيه البيض ليصنع فيه العيال، نعدهم للجنة التي لم نحققها، الحكاية أبسط من كل ما يدعون، يريدون أن يوقفوا الزمن ليحققوا بأنفسهم الجنة التي لا يعرفونها، لن تصدقيني يا ابنتي، قلبي ينقطع لما ينتظر حين تعجزين عن الحركة فجأة، لن ينفعوك، أنت لا تصدقيني، أنا عارفة، سوف أحضر من أجل خاطرك، سوف أهدئ من تحليقتك خلف هذا الرجل الذي يلهف منا النقود وليس في قلبه رحمة، يتظاهر بإطفاء النار وهو يشعلها، يغذى فيك الوهم إلى أعلى وهو يتظاهر أنه يجذبك إلى الأرض، خبيث، جبان، يشعل الحريق بالماء، ألا تعرفين أن الماء الذي لا يكفي لإطفاء النار يزيدنا اشتعالاً؟ هو بحملك مسئولية أحلامك، مأزقك أيقظ عقلي من جديد، أصبحت أفهم مثل زمان، لا تصدقيه واعقل يا بسمة يا حبة عيني، أنا أحضر من أجلك، وسأحضر دائماً من أجلك، كيف أوصل لك كل هذا الذي يدور برأسي بشأنك؟

- 3 -

= لماذا تأتين هنا يا ملكة مع أنك تبدين مع زوجك في غاية السعادة؟

- نريد الأحسن.

= ولكنكما في أحسن حال، هذا ما تؤكدانه دائماً.

-

= عن نفسي أنا جئت مضطرة، جرجرتي زوجي على وجهي، أحياناً أقول إن تعاستنا تبرر وجودنا

هنا في هذه المسخرة، ولكن أنتما؟ ماذا ينقصكما؟

- فعلاً، نحن سعداء تماماً.

= إذن، ما الحكاية؟

- غالى طموح، وطموحه لا ينتهي، يحب المعرفة، ويعبد العلم ويسعى بكل وسيلة لتحقيق أفكاره،

لذلك فهو مصر على التجربة.

= لكنك عاقلة كما يبدو لي، وتعلمين أن كثيراً ممن يعتقدون مثل هذه الأفكار في بلدنا إنما يتسلون

بها في الصالونات، أو يعتبرونها متعة ما قبل النوم، ما لنا نحن النساء وهذا الضجيج، دعيم

يستعملونها لمظاهرات الجامعة، أما حكاية تحقيقها فهي نكتة يضيعون بها الوقت، ويصبرون بها

أنفسهم على خبيثتهم.

- من أين لك بكل هذه الحكمة الخادعة؟ هذه هي السلبية بعينها.

= لا يخدعك ترهلي فأنا أحمل ليسانس تاريخ، ولكن تاريخي الخاص يقول لك لا تتشغلي إلا

بمملكتك الصغيرة، لا تبعدى عن عشك السعيد، أما هذا...؟ ماذا تسمين ما نحن فيه؟

- علاج.

= نعالج من ماذا؟

- الأمر لا يسلم.

= لا، الأمر يسلم ونصف، دعينا نلتقى بعيداً عن هذا المكان الصناعي، نجتمع في الخارج أرخص

وأسلم، هيا نقتع زوجينا بالكف عن السير في هذا الطريق الخبيث.

- ما هذا؟ يبدو أن طول بقائك في البيت يا فردوس قد أفسد عقلك، رائحة البصل تفوح من

أنا لا أهدد أحداً ولكني
خائفة من ثقتك بالحدود
التي تحاول أن تطلعتني
في داخلها.

خوفه أكبر من خوفى،
سوفه أضعفه حتى نهرب
معاً، هذا هو طريقى
للعودة به إلى عشى الأمن

- أفكارك، أنا مع زوجي إلى النهاية وليس هناك ما يخيفني، غالى يعرف كل شئ ويدرك طبيعة الذى يسير فيه، هو زوجي وحببي، ولا بد للصراع الطبقي من نهاية لصالح أصحاب الحق.
- = نعم؟ ما علاقة هذا بذلك؟ ماذا تقولين؟ نهاية ماذا؟
- نهاية الصراع الطبقي لصالح الجماهير.
- = إغلى يا ملكة يا اختى، وهل نهاية الصراع الطبقي سيتم هنا فى هذا المكان، راجعى نفسك يا بنت الناس، أين هؤلاء الجماهير فى عيادة هذا الطبيب؟
- غالى مؤمن بالعلم فى كل مكان وفى أى مكان، يقول إنه يجد الديالكتيك الحقيقى فى هذا الصراع العميق، هنا بين العجز والإرادة، بين الحياة والموت، نحن نحرر أنفسنا لتحرر الجماهير.
- = ماهذه الألفاظ الكبيرة؟ الذى يجرى هنا ليس إلا الاسترزاق من آلام الناس وحيرتهم.
- مرارة كلامك تذكرنى بالمرحلة الأولى من مجيئى هنا، عليك أن تستمرى حتى تنفضى عن أفكارك رائحة الثوم والبصل، الكسل والخوف كادا يقضيان عليك.
- = عبد السلام هو الذى قضى علىّ حين منعنى من العمل، ويدعى كل يوم أنى حرة.
- حاولى يا فردوس، قهر المرأة رمز لقهر الأضعف، حاولى.
- = أنت لا تحاولين يا ملكة، أرنى شطارتك لأقلدك، ثباتك لا يوحى بأى محاولة، كأنك وجدت حلا لكل شئ.
- أقدس العلم مثل زوجي، نحرر أنفسنا مع الناس.
- = وهل تجدين هنا علما؟ هل سمعت عن عالم يستعمل كل هذه البذاءات؟ هل سمعت عن طبيب يمارس كل هذه القسوة والهجوم بلا حساب ولا ذوق؟
- هو أدرى بأصول مهنته.
- = "بسة" مثلا؟ هل تعجبك هذه التجاعيد التى يفرضها هذا الرجل على وجهها الطفل بما يدعيه من ضرورة المشى على الأرض.
- مصلحتها تحدد خطواتها.... الأمل فى الشباب.
- (-..... - -).
- = يبدو أنى أزعتك، الصبر طيب.
- تحياتى للأستاذ عبد السلام.
- = تسلمين يا اختى.
-
- حجر صوان، جرائيت، ليس لها مسام أنفذ منه، أردت أن أستعين بها فخلت بى، أنا واثقة أنها "تقول" والسلام، لا بد أن لها مصلحة فى كل ما يجرى، خلية تدار لحبك مؤامرة ما لقلب النظام؟ قلب أى نظام، وكل نظام، إلا نظامها هى وزوجها، أكاد أفقد سيطرتى على نفسى حين لا أفهم إلى هذا الحد، نجح الكلب عبد السلام أن يهزنى من داخل، "الحرملك بالديالكتيك"، آخر صيحة فى العلاج العصرى، سوف أقاوم حتى النهاية، وإذا لم أستطع، فإله وحده يعلم إلى أين سينتهى بى ما يتحرك بداخلى.

- 4 -

= ماذا تريد منى يا عبد السلام بعد الذى حدث؟

- ماذا حدث؟

= تستعيط حضرتك؟ أصبحت أفهم لغتك الآن، فاستعد.

لو أنى طاوحت غبانى
الطبيب ومكثت فى مقر
دارى لظلمت المتممة طول
حياتى بأنى سبب مرضه،
وأنى العقبة فى طريق
شأنه.

لو أنى طاوحت غبانى
الطبيب ومكثت فى مقر
دارى لظلمت المتممة طول
حياتى بأنى سبب مرضه،
وأنى العقبة فى طريق
شأنه.

- أستعد لـ ماذا ؟
- = لا تحاول يا عبد السلام، أنت الذى بدأت الطريق وعليك أن تكمله بحلوه ومره.
- سوف أفعل.
- = لا تكن واثقا من نفسك هكذا.
- أنا فى انتظارك يا فردوس من زمن بعيد.
- = لا أظن يا عبد السلام، أنت لا تعرف ما تقول.
- نعم؟ نعم؟
- = جاء الدور عليك يا عبد السلام لتبدأ من أول وجديد.
- ماذا؟
- = يبدو أن هناك من أسرار اللعبة مالا تعرفه.
- وأنت؟ هل عرفتيه بهذه السرعة؟
- = أحس بأشياء كثيرة قبل أن أعرفها.
- الإحساس وحده خداع.
- = يتحدثون عن الحب أكثر من اللازم يا عبد السلام وكأنهم يتبادلون السجائر.
- نعم، هذه حقيقة، ولكنها لا تعنى ابتذاله،
- = الأمر أخطر من كل تصور، ربما تندم يا عبد السلام يوما ما على أنك فتحت عينيّ، مسامى
- تفتحت هى الأخرى فحذار.
- الحقيقة أصدق من كل وهم.
- = تقولها بشروطك.
- أية شروط؟
- = لا تدعى الغباء وتَحَمَّلْ مسئوليتك إن كنت رجلا.
- رجعا للبداءة، بماذا تهددني بالله عليك؟
- = أنا لا أهدد أحدا ولكنى خائفة من ثقك بالحدود التى تحاول أن تطلقنى فى داخلها.
- أية حدود؟
- = لن تحتمل لو تخطيتُها يا عبد السلام.
- يجوز، بصراحة يجوز.
- = شئ يتفجر فىّ يا عبد السلام، فهل أستمّر؟ هل تتحمل نتائجه؟
- كل واحد مسئول عن فعله.
- = هذا كلام للاستعمال الظاهري، أنا أشك أن أحدا منكم يعرف حقيقته،
- يجوز.
- = يجوز، يجوز، يجوز! كل شئ يجوز؟ أنت تميع كل شئ.
- أنا معك إلى النهاية.
- = كذاب، تكذب بنفس القدر الذى تكذب فيه حين تقول أنى حرة.
- ...
- = هل ما زلت مصرا على أن أستمّر.
- لا تبالغى، لقد تفجر فى يوما ما شئ مثل الذى تتحدثين عنه، ولم تقم القيامة، جاءت سليمة.
- = بل قامت، ولم تكن سليمة كما تعرف.

لا أستطيع الصبر، متى
أستطيع التوقف عن
التفكير فى كل ما يجرى؟
هل أترك الأمور تسير كما
يريدون؟ هل يعرفون ما
يريدون؟ هل أحاول أن
أعرفه أنا؟ هل أعبء
الدور بنفسى بدلا من هذا
الخوف الذى يتضاعف
بالانتظار؟ يبدو أنه انتظار
بلا نهاية

أنا أخافه من هذا الرجل،
إذا تركت نفسى
التهمانى
دون ضمان، أتبعثر بلا
معالم

- ماذا تعنين؟
- = النساء غير الرجال.
- هذا كلام قديم.
- = أنت لا تعلم ما بي، بداخلي ثور أعمى وقرونه سيوف من ماس.
- عقلك يصحو مثل زمان يا فردوس، تتكلمين مثل الذين يعرفون ما وراء الألفاظ، نكاد نتفاهم من جديد.

= ليس عقلي فحسب، ولكن خلاياي كلها.

- لا تخافى شيئاً.

=لست خائفة فلا تلق علىّ خوفك.

(-.....-....).

- أنا لا أنكر خوفى يا فردوس، أنا أشم رائحة التهديد أو المساومة.

= صوت بداخلي يقول لى: أنت لست حِمْلِي يا عبد السلام، ولا حتى شيخ الطريقة هذا،

كفانا هذا يا عبد السلام، ودعنا نربي الأولاد.

(-.....-.....).

- لم يعد لى فى الأمر خيار.

= لا تصدق هذه الأوهام.

- ليس أمامى طريق آخر.

= ذنبك.... على جنبك.... لقد حذرتك يا عبد السلام.

- 5 -

خوفه أكبر من خوفى، سوف أضاعفه حتى نهرب معاً، هذا هو طريقي للعودة به إلى عشى الآمن، رأيت بعيني رأسى الفئران تجرى فى عبه، بدأ يهتز وهذا سببى الوحيد لأوقف هذا الخطر الداهم، عثرت على كعب عطيل وبدأت أتذكر بعض صفحات التاريخ، سأضرب على هذا الوتر، عرفت الطريق يا فردوس، لو أنى طاوعت غبائى الطيب ومكثت فى عقر دارى لظللت المتهمه طول حياتى بأنى سبب مرضه، وأنى العقبة فى طريق شفائه، أما الآن: سوف نسلخ وجهه من يزعل، والبادئ أظلم.

= ميعاد الجلسة يا عبد السلام.

- أعرف،

= صاحبك لا يحب التأخير.

-.... هو يتأخر أحيانا.

= هو صنف آخر من البشر لا يسرى عليه ما يسرى علينا، أليس كذلك يا رجل؟

- ليس تماماً، وإن كان مثل ذلك يخطر على بالى أحيانا.

= هل سيحضر إبراهيم الطيب.

- طبعاً، مثل كل مرة، لماذا تسألين؟ وهو لم يتغيب ولا مرة؟

= خاطر خطر، وقد علمتمونى التلقائية.

- عندك حق، إبراهيم إنسان رائع، وأنا أحبه، بل إنى أحيانا أحسده.

= أنا أيضاً أحبه.

- هو يستأهل الحب.

أنا فشلت فى الصبر وهى
الفرجة، الحوائط تتغرب
حتى لا تترك لى إلا هذه
الفتحة التى يتسرب منها
نور خامس لا أعرفه ماذا
بضى، لم أجد أستطيع
الفضاء؟ ماذا أستطيع أن
أفعل؟ ماذا نستطيع أن
نفعل؟

دعونى لأولادى وبيتى،
صرت أشك أنهى أستطيع
الرجوع الآن إلى عشى
الدافى، المعاط بالخطر
والنسيان، بدأت أسمع فيه
حفيفاً ما، وأخشى أن
يكون دبيب المواء

- = لا تصوّر الأمر يا عبد السلام كما لو كنا نشرب قدحا من القهوة، الحب طريق شانك.
- عن ماذا تتحدثين؟
- = هل أفقدك العلاج حَمِيَّة الرجال؟
- ماذا تعنين؟
- = أقول لك أحب رجلا، تقول لى يستاهل، إني أحذرك، ذهابي إلى هناك يوقظ فيّ ما كان قد نام من سنين.
- ماذا تعنين؟
- = أعنى أنى أحاول أن أتمسك ببيتنا، بالستر، أريد أن أحمي الأولاد من تجربة بلهاء، أحاول أن نعيش مثل الناس.
- وما المانع أن نعيش بمشاعر يقظة؟
- = هذه المشاعر التي تهدد بالانفجار لا تستأذن أحدا ولا تحسب حسابا لشيء.
- ماذا تعنين؟
- = لو تطاوعني، أتركني ألزم بيتي، فلا يقدر على القدرة إلا الله.
- عن ماذا تتكلمين؟
- = عما أشعر به مما يمكن أن يسمى حبا أو غير ذلك، أنتم تحركون ماردا ليس له روابط ولا حدود، تثيرونه دون حساب، ثم سوف تحمّلوننى مسئولية خراب بيتي.
- خوفك أكثر من كل تصوّر.
- = لا تدعني أقول لك ما يدور بداخلي حتى لا يتوقف قلبك من الهلع.
- كفى غموضك وهات ما عندك.
- = لا فائدة، كنت أظن أنك لم تنس رجولتك.
- تحاولين أن تجرحيني من جديد لأتراجع.
- = أنا أعرفك فلا تدعى الهدوء.
- هات ما عندك.
- = هب أنى اكتشف أنى لا أحبك.
- قسمتي.
- = استسلام مائع.
- يملؤني كلامك جزعا، ولكن لا سبيل إلى التراجع.
- = نحن ما زلنا فيها، المخاطرة ليس لها حدود.
- عندك حق.
- = إسمع كلامي، وكفى رعونة.
- تذكرى أنت ما كنا فيه، كان أبشع من كل مخاطرة.
- = يكفى ما تعلمناه، لقد أصبحت حياتنا أهدأ، يكفيننا هذا.
- إنها أهدأ لأننا فى انتظار الأمل، ولكنها تنهار فورا لو توقفنا.
- = وجهك الشاحب يا عبد السلام يقول غير هذا.
- لا أنكر خوفى... ولكنى مستمر.
- = الناس يعيشون فى سلام، ولم يعد بك ما يدعو لكل هذا.
- الناس يعيشون فى سلام لأنهم لم يروا ما رأيت.

بالرغم من كل شيء، فأنا ما زلت أعيش نشوتي معظم الوقت. أرقص وأنا أمشي، أغنى وأنا أتكلّم، أريد أن أذهب إلى كل الناس أخصي لهم عن معنى الحياة وفضل الأطباء الذين هم ليسوا أطباء، فضلمهم على البشر والجنس

حين كنت مجوزا يانسة كان هو فى إصراره لا يجارى، يقاوم عنادى ولا يبأس أبدا، وحين أصبحت طفلة سعيدة تغمرنى النشوة بلا حدود تراجع عن ثباته واهتز وتشكك،

- = وأنا مالى، لماذا تصر على أن أرى أنا ما رأيت أنت؟ على كل: هأنذا أرى ما هو أكبر وأخطر.
- هذا قدرنا إن أردنا أن نعيش "معا"، لا بد أن نرى "معا".
- = هل تعنى أنه لا حياة إلا مع هذا الذى تسميه علاجاً؟
- لا مفر من المخاطرة تحت أى اسم.
- = عبد السلام.
- نعم.
- = أنت تلعب بالنار.
- اللعب بالنار أهون من الحياة فيها.
- 6 -

خببت ظنى يا رجل رغم أنى صادقة فى كل مخاوفى، أملت أن تخاف أكثر لأستردك ونعود لبيتنا، عينى عليك يا بسمه ياقطعة من قلبى، كيف سنتزوجين لو أحببت كل الناس مثلما يقولون؟ كيف ستجدين من يتحمل رؤية كل ما رأيت؟ بدرى عليك يا ابنتى، وأنت يا ملكة يابنة مناع، كم أحسبك على هذا الهدوء وهذه الثقة، أنا التى أهرب وأراوغ، أتذكر مرة وأنسى عشرة لا أستطيع أن أطفئ ما بداخلى إذا ما تحرك، فمالك لا تتحرك فيك شعرة خوف، وغالى لا يكاد يرى إلا معك، من خلالك، تجلسين فى هدوء ثم تخرجينه من بين ثنايا صدرك وتضعينه على الكرسي، فيتحمس ويقول ويعيد وأنت لا تتحركين لأنك فى النهاية تضعينه فى مكانه بين ثنايا صدرك، اطمئنانك عليه يفوق طاقة احتمالى، ومجال خيالى، ياليتنى مثلك، إذن ما قاومت المجرى هنا أبداً، سوف أتعلم منك هذا الجمود العظيم الذى تسمينه ثقة، سوف أتعلم من غريب الفرجة من بعيد، بعدها أستطيع أن أنتظر قرناً من الزمان، كل شئ ينتهى إذا انتظرنا بدرجة كافية.

أحلامي تقول غير هذا.

لا أستطيع الصبر، متى أستطيع التوقف عن التفكير فى كل ما يجرى؟ هل أترك الأمور تسير كما يريدون؟ هل يعرفون ما يريدون؟ هل أحاول أن أعرف أنا؟ هل ألعب الدور بنفسى بدلا من هذا الخوف الذى يتضاعف بالانتظار؟ يبدو أنه انتظار بلا نهاية.

أنا أخاف من هذا الرجل، إذا تركت نفسى التهمنى دون ضمان، أتبعثر بلا معالم.

عبد السلام مصر على الاستمرار، وأنا فشلت فى الصبر وفى الفرجة، الحوائط تقترب حتى لا تترك لى إلا هذه الفتحة التى يتسرب منها نور غامض لا أعرف ماذا يضى، لم أعد أستطيع الفكاك؟ ماذا أستطيع أن أفعل؟ ماذا نستطيع أن نفعل؟

فى الأول كنت أشفق عليك يا بسمه، الآن، أنا أطلب منك العون كأنى صديقتك الصغرى، أليس هذا هو الجنون ذاته؟

لا أكاد أذكر "كيف" ولكن الآمال عادت إلى الظهور وكأنها لم تمت أبداً، أنا لا أجرؤ على مواجهتها، كيف تغرونى أيها المجانين أن أبداً من جديد؟ أن أمل من جديد؟ كان الشباب أقوى، والعالم أرحب ومع ذلك لم نفعل شيئاً، ثم أتى بعد هذه السن لأحاول من جديد؟ إلحقينى يا بسمه، إعملها أنت بدلا منى إن كنت شاطرة.

دعونى لأولادى وبيتى، صرت أشك أنى أستطيع الرجوع الآن إلى عشى الدافئ المحاط بالخدر والنسيان، بدأت أسمع فيه حفيفاً ما، وأخشى أن يكون دبيب الهوام.

إبراهيم الطيب، ملامحه تبعث الطمأنينه فى كلى، أنتهز الفرصة، أريد أن أعرف حقيقة مشاعرى نحوه، وربما أحسَّ عبد السلام بالتهديد.

سيدى ومولاي وحبى، ماذا أفعل لك رحا لجميك، أريد أن أسعدك كما أعطيتنى فرصة هذه السعادة، أنا المريضة وأنت شينى، أنت أخذت العهد على شينك الطيب

محمدى أن أسعدك بلا تفكير أو هم، فما هو محمدك بالله عليك، لماذا هذا الشك والخوف والتردد

- = إبراهيم.
- نعم.
- = أنا خائفة.
- طبعاً.
- = هل تعرف ماذايجرى هنا؟
- نعم.
- = إبراهيم، لا تبدد وثاقا هكذا وإلا حسبتك مثل ملكة مناع.
- هذا طريق أعرفه.
- = من أين عرفتته؟
- من داخلي.
- = يا بختك.
- لا بخت ولا يحزنون.
- = إذا كان داخلك بهذا الوضوح، لماذا أنت هنا؟
- الوحدة صعبة، لست إليها.
- = هل ستبقى هنا إلى الأبد؟
- حتى أكسرهما، أو أكف عن الخوف منها، أو الاحتماء بها.
- = كلامك صعب، ولكنه على أى حال ساعدنى على خوفى.
- لا تخافى من خوفك.
- = يعنى أخاف؟
- طبعاً.
- = إن الأمر يخصك يا إبراهيم.
- لا يخصنى وحدى.
- = وكيف عرفت؟
- وصلنى.
- = أنا أحبك،
- وأنا أيضا.
- = يا نهار أسود.
- ليس أسود من قلوب الحقد.
- = أنا أحبك بكل ما يترتب على ذلك.
- وزوجك؟
- = أحيانا أحبه هنا: وأشجره بقية الأسبوع.
- أحس أن حبك له "هنا" مثل حبك لى؟
- = ... تقريبا، ولكن ماذا تريد أن تقول.
- لماذا الخوف إذن؟
- = أكاد لا أفهمك.
- بل تفهمينى أكثر من تصورك.
- = حرام هذا كله.

شاطى، الأمان لا تلممه
الأمواج، هل هناك بعد
هذه النشوة شئ نكمله؟
- أخافه أن نكتشفه أنها
بركة آسنة، لا أشعر فيها
بحركة موج أو هزة سراع

لماذا الرفض بعد ما
تغيرته هكذا، أخشى أن
ينطفئ ما بهى نتيجة
لإصرارهم على الشك هـ

- الكذب هو الحرام الأوحى.
- ضاققت الحلقة ولا مفر من المواجهة.
- 7 -
- = ماذا تريد منى يا عبد السلام.
- أريدك معنا، معى.
- = ولكنى كنت معك فرفضت، وركبنا العجز.
- لم نكن معا أبدا، لم يكن هناك سوانا، أنت وأنا، هذا ليس "معنا".
- = لا أفهم كلمة مَعَنَا هذه التى تصر على ترديدها هل سنأخذهم "معنا" إلى البيت؟
- لا أعنى هؤلاء الناس بالذات، ولكن كل الناس، أى ناس.
- = هذا صعب يا عبد السلام، أنا أنهكت وعجزت حيلتى.
- هذا هو الطريق.
- = الإنهاك والضياع؟
- ... مازال العمر طويلا.
- = هذا تخريف، نحن نقضيها أياما.
- فلنكن أياما مليئة بالحياة، أنا أنتظرك يا فردوس.
- = كنت أحبك طول الوقت، حتى وأنت فى الأزمنة.
- أعرف ذلك، لا أشكرك، عيب، كان حبا عمره الافتراضى قصير، مع أنه حقيقى.
- = ربما تَوَلَّدَ فى ما أخاف منه، تريدنى أن أجن مثلك حتى تصدق أنى أحبك.
- مازلت ألمح الحياة فيك بكل نبضها.
- = كلام غير مفهوم، ولكنه يكاد يطرحنى أرضا.
- أرى فى داخلك بسمة ما زالت حية ترزق، فردوس، أنا، ابراهيم، الله، كل الناس.
- = هذا كلام كبير، أكبر من احتمالى.
- هو الصدق نفسه.
- = أعماقى تهتز، أشعر بالدوار.

.....

فى تلك الليلة، حين حاولت الاستسلام كالعادة، اشتعل بى شئ آخر، ليست شعلة، شعور يقظ يتحفز، نشوة تغمر كل كيانى، بعثت فى الحياة حتى أحسست بها فى أظافر قدمى، لا يمكن أن أصف ما أنا به ولا أعتقد أنه وُصِفَ عبر التاريخ، عقلى، عقلى نام يقظا، لم يتخاصم مع جسمى هذه المرة، كالمأخوذة فى وعى كامل، أصعد قمة مجهولة، فى سهولة ويسر، أعضاء جديدة تنبت فى أحشائى، تتمطى مثل المارد الخارج من قمم، تتجول فى خباياى جميعا، كائنات منقرضة تصحو وتقفز من المحيط إلى الأرض إلى عنان السماء، رقصت كل جوانحى رغم أن الخوف لم يتركنى، كان عبد السلام، طيبا مختلفا، أنا امرأة، رجل، الكون كله، أنا لا شئ، أو كل شئ هذه المرة، أول مرة، لم أعد أحتمل، لم أعد أحتمل، "إلحقتى يا عبد السلام، هذه المرة... المشاعر أكبر منى، ماذا فعلتم بى، شكرا..... عليكم اللعنة، دخلتها بالرغم منى، دخلتها بالرغم منى... داخلى.... داخلك..".

مهما رفضتم ما بى فسوف
 أظل أسبح فى هذه البحيرة
 الآمنة، هذا حقى مقابل
 ألمى طوال السنين، ليس
 من الضرورى أن أطارح
 الأمواج حتى أتعلم العوم،
 أنا أرض رفض رفضكم، ليس
 من حق أحد أن يعكر على
 حياتى بعد ما استسلمت
 لقرحتى، لجسدى، وخلص.

إياك أن تستعمل حكاية
 الناس هذه لتبرر هروبك
 الأزلئ من السعادة، ما
 للناس؟ الطريق معروف
 ومن أراد أن يسعد،
 فليسعد

لم يعد المجهول مجهولاً، ولا هو في حاجة الآن لأن يكون معلوماً، حسرة على الأيام الأخرى، أنا ملك يمينك يا عبد السلام منذ اليوم.. أنت داخلى... وأنا فيك... الحمد لله... الله حلو، وأنا حلوة، وأنت... فليعش الكل، تحيا الحرية... الله أكبر.

- 8 -

بالرغم من كل شيء فأنا ما زلت أعيش نشوتى معظم الوقت، أرقص وأنا أمشى، أغنى وأنا أتكلم، أريد أن أذهب إلى كل الناس أحكى لهم عن معنى الحياة وفضل الأطباء الذين هم ليسوا أطباء، فضلهم على البشر والجنس، لا يكدرنى إلا التغيير الذى طرأ على عبد السلام، لماذا لا يتقبل فرحتى هذه، أليس هذا ما كان يسعى إليه؟ حين كنت عجوزاً يائسة كان هو فى إصراره لا يُجَارى، يقاوم عنادى ولا يبأس أبداً، وحين أصبحت طفلة سعيدة تغمرنى النشوة بلا حدود تراجع عن ثباته واهتز وتشكك، أنا لا أفهم شيئاً من كل هذا، سيدى ومولاي وحبى، ماذا أفعل لك رداً لجميك، أريد أن أسعدك كما أعطيتنى فرصة هذه السعادة، أنا المريدة وأنت شيخى، أنت أخذت العهد على شيخك الطبيب، عهدى أن أسعدك بلا تفكير أو هم، فما هو عهدك بالله عليك، لماذا هذا الشك والخوف والتردد.

= أليس هذا هو نهاية المطاف يا عبد السلام؟

- بل ربما بدايته، إن استطعنا،

= لست أفهم ما تعنى.

- قلبى غير مطمئن.

= أما أنا، فأسبح فى بحر الطمأنينة دون حركة ذراع.

- لا بد أن تكمل.

= شاطئ الأمان لا تلمطه الأمواج، هل هناك بعد هذه النشوة شئ نكمله؟

- أخاف أن نكتشف أنها بركة آسنة، لا أشعر فيها بحركة موج أو هزة شراع.

= قال الله ولا فإلك، متى تستغنى عن قلقك الأزل.

- هناك خطأ ما،

= هل بضاعتي مغشوشة؟ هل أنا ما زلت أعيش النشوة الدائمة.

- قلبى ليس مطمئناً، وأحلامى تؤكد خوفى.

= عارف بالله أنت؟ هذا الوسواس لا يتركك.

- عارف بنفسى، وبالدينا المؤلمة.

= تعالى نسعد بلا حسابات.

- يخيل إلى أنى عاجز عن ذلك، لا أتقن هذه اللعبة.

= ماذا هناك بعد ذلك، يكفيننا هذا ولنبدأ معا فى بيتنا دون تدخل الآخرين.

- هذا هو الخطر بعينه.

= لا أميل إلى الذهاب ثانية.

- لا أحب أن أخدع نفسى.

= إذهب أنت وسأنتظرك دائماً لأجعل من بيتنا الجنة بعينها.

- فى الأمر خطأ ما، لا بد من الاستمرار حتى نراه، وربما أمكن أن نصلحه.

= أنا لا أرى هذا الخطأ، ولا أجد مبرراً للذهاب بعد ما حدث، ثم إنى خجلة من مشاعرى، أخشى

حين أهم بالكلام أن آخذ الجميع بالأحضان، بل أكثر من الأحضان.

- لا عليك، لا بد أن نعيش الخبرة حتى أعمق أعماقها.

أنا لم أنس شيئاً، أنا لم أتذكر حتى أنسى، وحتى لو، فلا بد للإنسان أن ينسى، ما فائدة التذكرة بالألم مادمت قد دفعت نصيبى منه، ثم استلمت المقابل

لا يمكن الاطمئنان إلى إنسان بلا أعماق

= لا تعقد علينا الحياة الله يستر عرضك، ليس هناك أعماق أعمق مما كان.

- ما أسهل حلوك.

= ما أصعب وساوسك.

هذا هو عيبه، يخاف السعادة ولا يتمتع بالنعمة، لا يزال مصرا على الذهاب إلى العلاج، علاج من

ماذا بعد كل هذا؟ ومع ذلك فسوف أذهب معه، وليغمر الجميع طوفان النشوة.

- 9 -

لماذا الرفض بعد ما تغيرت هكذا، أخشى أن ينطفئ ما بي نتيجة لإصرارهم على الشك فيّ، عبد السلام يكاد ينكر ما بي الآن، وشيخه وبعض رفقته، ينظرون إلى أحيانا كأني سارقة مع أني أعلن سعادتي في وضوح النهار، هل على أن أدعى الشقاء حتى يصدقوني، حين كنت ست البيت العاقلة جرجروني إلى هناك بأمر الطبيب، وحين شفيت، لم يهنئوني بالسلامة، لكن مم شفيت؟ هل كنت مريضة؟ أنا لم أكن مريضة ولكني شفيت على كل حال، الوحيدة التي شاركتني فرحتي هي بسملة الحلوة ابنتي الجميلة الغالية، حسرة عليها، ومع ذلك شاركتني ما بي، أيضا: إبراهيم الطيب، هو فرحان بي أيضا، مختار لطفى ينظر إليّ بنهم لكني لا أهتم، موقف الطبيب يشبه موقف عبد السلام، دعينا منهم يا بسملة يا ابنتي يا حبيبتي وتعالى نرقص رقصة الفرخ الطائر، أريد أن آخذك معي نتعري على شاطئ بحيرة، نصفق بأجنتنا مع الأوز، نطير في سمائها كالنوارس، ثم نعود إلى شاطئها، أفق أنا على كتف عبد السلام، ثم أطويه تحت جناحي، وسوف تجدين أنت أيضا من تفعلين معه ذلك، وأجمل منه، مهما رفضتم ما بي فسوف أظل أسبح في هذه البحيرة الآمنة، هذا حقي مقابل ألمي طوال السنين، ليس من الضروري أن أصارع الأمواج حتى أتعلم العوم، أنا أرفض رفضكم، ليس من حق أحد أن يعكر علىّ حياتي بعد ما استسلمت لفرحتي، لجسدي، وخلص.

-.. من يضمن الاستمرار يا فردوس ونحن ما زلنا على الأرض؟

= لا حاجة للضمان، ألا تقولون أن الآن هو "الأبد".

-.. أنت تستعملين ذلك للراحة والتوقف.

= تفسيراتك تشوّه كل شيء.

- والناس؟ الناس يا فردوس؟

= إياك أن تستعمل حكاية الناس هذه لتبرر هربك الأزلي من السعادة، ما للناس؟ الطريق معروف

ومن أراد أن يسعد، فليسعد.

- نسيت يا فردوس.

= أنا لم أنس شيئا، أنا لم أتذكر حتى أنسى، وحتى لو، فلا بد للإنسان أن ينسى، ما فائدة التذكرة

بالألم مادمت قد دفعت نصيبي منه، ثم استلمت المقابل.

- لا أنكر عليك ما بك، ولكن لا بد لـلـحـم من عظام حتى يصبح كائنا، له معالم.

= نعم، ولكن هناك من الكائنات الحية ما لا عظام لها.

- عمرها قصير.

= أحسن، ماذا تريد مني؟

- أين أنت؟ أكاد لا أرى داخلك، كأنه انقلب إلى الخارج جميعه فلم يعد هناك جوهر داخلي، ليس

للإنسان كيان إلا بالحفاظ على أعماقه.

= أكاد لا أفهم كلامك مثل زمان.

بإبتك معرفت كيفه يولد
الإنسان من جديد، كيفه
يلد نفسه مرة ومرات في
هذا العالم الطالح
المطمون، كيفه تطول
سنين العمل لسنوات وليس
لشهور

- هكذا؟ ، على أى حال: عدم فهمك أقرب إلى من حلك السهل.
- = ماذا تريد أن تقول؟
- أحاول أن أكون صادقا.
- = إبراهيم الطيب صادق أيضا ولكنى أحس أنه يقبلنى هكذا، ومختار لطفى يريدنى ويشتهينى، هكذا تقول نظراته طول الوقت، وبسمة سعيدة بى.
- ليس تماما.
- = ما هذا الذى هو ليس تماما؟ هذه شكوكك، تريدنى كما تحب، وفى الحدود التى ترسمها أنت.
- أعيد النظر فى أشياء كثيرة.
- = لا تقلق، فما زلت أنت حبى وسيدى.
- بهذا تتحقق مخاوفى أكثر.
- = كيف أثبت لك أنى حية؟ وسعيدة؟
- لو كنت كذلك، لا طمأننت بصحبتك إلى ما لا نهاية..... ولكن..
- = جَرَّب، هأنذا.
- لا يمكن الاطمئنان إلى إنسان بلا أعماق.
- = أمرك عجيب يا أختى، من أين أشتري لى أعماقا حتى أعجبك؟
- إبحثى عن السؤال الذى ليس له جواب، وستجدينه فى أعماقك، ولن تنسين الناس.
- = سعادتى أجابت على كل الأسئلة فى لحظة.
- هذه مصيبة المصائب، "فى لحظة"!!! حكاية "فى لحظة" هذه ترعبنى
- = إذا كان الأمر هكذا مصيبة كما تقول، فالبركة فيك وفى صاحبك.
- لم تتحملى الحمل والولادة، لا توجد ولادة سليمة دون شهور حمل.
- = عندى ثلاثة، وأنا رابعتهم.
- ياليتك عرفت كيف يولد الإنسان من جديد، كيف يلد نفسه مرة ومرات فى هذا العالم الطاحن المطحون، كيف تطول سنين الحمل لسنوات وليس لشهور.
- = ماذا تريد الآن؟
- نبدأ كل يوم من جديد.
- = سورة هى لن تنتهى!!
- ينبغي ألا ننساهم أبدا.
- = من؟
- الناس.
- = هذا هو النكد بعينه.
- لاضمان للاستمرار إلا بهم.
- = نعتمد عليهم؟ نهرب من أنفسنا فيهم؟ ألم تحذرنى من ذلك طول الوقت.
- بل يختبروننا ونختبرهم، لا مفر من المشاركة طول الوقت.
- = لماذا لا تشاركنى إذن؟ ألسنتُ ناسا؟ لماذا أعتبرك أنا ناسى وأحاول أن أشاركك.
- أنا أحد الناس، لست بديلا عن الناس.
- = إبحث فى خوفك من الحياة ولا تستعمل ألفاظا كبيرة، أليس هذا بعض ما علمتونى إياه؟
- لا أنكر خوفى، ولكنى أعرف ما وراء اختزال الألم.

أقرأ التاريخ بطعم آخر،
أبحث عن تجربة مماثلة،
تتراءى أمامى ملامحها فى
فجر كل ثورة، ولكنهما
تختفى سريعا حتى أياس
مما نحن فيه

أتساءل: هل كتبت علينا أن
نكرر نفس الخطوات:
اليأس: الأمل: المحاولة:
النجاح: اليأس: الأمل:
المحاولة: وإلى متى؟
لا أحتمل طول التساؤل فى
أحلب الأحيان، ولا أستطيع
النسيان

= كفانى ألما.

- لا تنزعجى منه فداخل أعمق نبضة فيه، ستجدين الحياة.

= سأحاول بطريقتى.

- ياليت.

-10-

لا يخفف الصعب إلا استحالة
البديل

أخرجت شهادة الليسانس من بين أكوام الخزين، عدت إلى العمل مدرسة إعدادى، لم يعد أمامى اختيار، التراجع صعب، والتوقف مستحيل، الحلقة تضيق أو اصل طريقى بنفسى، لا أتكرّر لفضله فى ذلك، لكنه طريقى أنا، أقرأ التاريخ بطعم آخر، أبحث عن تجربة مماثلة، تتراءى أمامى ملامحها فى فجر كل ثورة، ولكنها تختفى سريعا حتى أياس مما نحن فيه، انزعج عبد السلام فى أول الأمر من استقلالى ولكننا نتقارب بشكل أهدأ، وإن كان أبطأ.

أتساءل: هل كتب علينا أن نكرر نفس الخطوات: اليأس: الأمل: المحاولة: النجاح: اليأس: الأمل: المحاولة: وإلى متى؟ لا أحتمل طول التساؤل فى أغلب الأحيان، ولا أستطيع النسيان. لا يخفف الصعب إلا استحالة البديل.

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD230618.pdf

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

شعـن: انجازات اربعة عشرة عاما من الـدم "

(التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003)

الكتاب السنوي الخامس

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراتي كتاباتي في اصداراتي الشبكة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معاً ... نذهب أبعد